سلسلة نساء النبى ﷺ
(٥)

أُمُّ المَسَاكِيْن
زَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ
رضى الله عنها

تأليف
محمد محمود القاضى

الطبعة الأولى للناشر
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

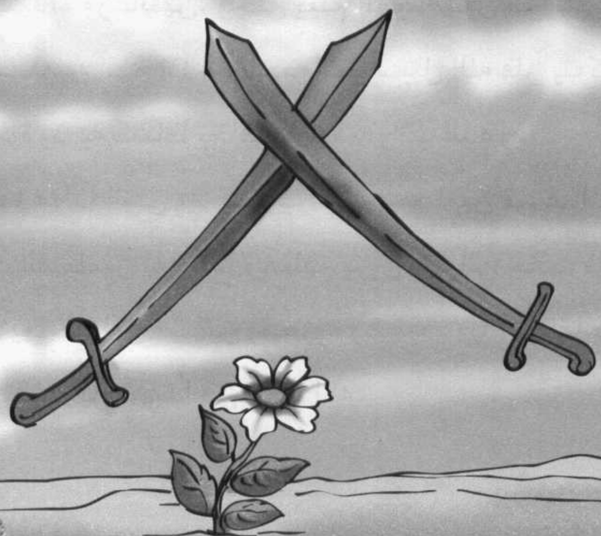
رقم الإيداع: ٢٠٠٥/١٥٦١٥
الترقيم الدولي: I.S.B.N
977-265-650-7

دار التوزيع والنشر الإسلامية
مصر - القاهرة - السيدة زينب ص.ب ١٦٣٦
٢٥١ش بور سعيد ت:٣٩٠٠٥٧٢ - فاكس: ٣٩٣١٤٧٥
مكتبة السيدة : ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١
www.eldaawa.com
email:info@eldaawa.com

الوافدة الجديدة فى بيت النبوة

أذن الله تعالى للمسلمين بالقتال، وفرض عليهم الجهاد فى سبيله، فكانت غزوة بدر أول مواجهة حقيقية بين المسلمين وكفار قريش، واستشهد فيها عدد من المسلمين، وبدأت تظهر مشكلة الزوجات والأُسر التى فقدت عائلها فى الحرب، فكان لابد من حل لهذا الأمر.

وكان من شهداء المسلمين فى بدر عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطَّلبي، ابن عم رسول الله ﷺ وكان أحد السابقين الأولين، وهو أسن من رسول الله ﷺ بعشر سنين، هاجر هو وأخواه الطفيل وحصين، وكان معتدل القامة مليحًا،



كبير المنزلة عند رسول الله ﷺ، وقد كان النبى ﷺ أمَّره على ستين راكبًا من المهاجرين، وعقد له لواء فكان أول لواء عقد فى الإسلام، وكان ذلك قبل بدر بفترة قليلة، وهو الذي بارز عتبة بن ربيعة رأس المشركين يوم بدر فأصاب كل منهما الآخر، وشد على وحمزة على عتبة فقتلاه، واحتملا عبيدة وبه رمق، ثم توفى بالصفراء فى العشر الأخير من رمضان سنة اثنتين من الهجرة رضي الله عنه.

وكان لعبيدة زوجة جليلة عظيمة المكانة والمنزلة فى قومها، وهى الصحابية الجليلة زينب بنت خزيمة -رضى الله عنها-، فقرر النبى ﷺ أن يتزوجها، ليكون ذلك حافزًا للمسلمين على التزوج من زوجات الشهداء ورعايتهن، وحتى يعلم المجاهدون فى سبيل الله من المسلمين أنهم إذا استشهدوا فى سبيل الله فلن يتركوا وراءهم نسوة وذرية ضعافًا يخافون عليهم نوائب الدهر.

وها هو ذا النبى ﷺ يضرب المثل للمسلمين فى هذا الأمر، مما زاد المسلمين به تعلقًا وجعلهم يرون فيه إلى جانب ذلك أبًا لهم جميعًا، أبًا لكل مسكين ومحروم وضعيف وبائس وعاجز، أبًا لكل من فقد أباه شهيدًا فى سبيل الله.

ولقد فطن المسلمون إلى هذه الحكمة من زواج الرسول ﷺ بزينب فكانوا يتسارعون بعد ذلك إلى الزواج من زوجات الشهداء، أسوة برسول الله ﷺ.

إذن لم يتزوج النبى ﷺ من نسائه بدافع من شهوة أو غرام، فقد تزوج خديجة بنت خويلد -رضى الله عنها- وهو فى الخامسة والعشرين من عمره وهو فى عُمر الصبا وريعان الفتوة ووسامة الطلعة وجمال القسمات وكمال الرجولة، وكانت هى فى الأربعين من عمرها، وظلت خديجة وحدها زوجة له خمساً وعشرين سنة حتى تخطى الخمسين، هذا على حين كان تعدد الزوجات أمراً شائعاً فى العرب فى ذلك العهد، وعلى حين كان للنبى ﷺ مندوحة فى التزوج على خديجة، لأنه لم يعش له منها ذكر، فى وقت كان العرب يعتدون بإنجاب الذكور، ففيهم الامتداد الحقيقى لاسم أبيهم.

ولكن لم يُعرف عن النبى ﷺ فى حياة خديجة ولا قبل زواجه منها أنه كان ممن تغريهم مفاتن النساء.

فما هى الأسباب التى دعت النبى ﷺ إلى التزوج بأكثر من امرأة بعد وفاة خديجة؟

لقد كان لكل زوجة من زوجاته قصة،ولكل زواج حكمة وسبب يزيدان

من إيمان المسلم بعظمة نبيه محمد ﷺ ورفعة شأنه وكمال أخلاقه.

وأيًّا كانت الحكمة والسبب فإنه لا يمكن أن يكون مجرد قضاء الوطر واستجابة للرغبة الجنسية، إذ لو كان كذلك لكان أحرى به أن يستجيب للوطر والرغبة الجنسية فى الوقت الطبيعى لهذه الرغبة ونداتها.. خصوصًا وقد كان إذ ذاك خالى الفكر، ليس له من هموم الدعوة ومشاغلها ما يصرفه عن حاجاته الفطرية والطبيعية.

فمثلاً كانت سودة -أول ما تزوج بعد خديجة- زوجة لرجل من السابقين إلى الإسلام الذين احتملوا فى سبيله الأذى والذين هاجروا إلى الحبشة بعد أن أمرهم النبى ﷺ بالهجرة إليها، وقد أسلمت سودة وهاجرت مع زوجها، وعانت من المشاق ما عانى، ولقيت من الأذى ما لقى، وحدث أنها رجعت مع زوجها من الحبشة فمات زوجها بعد فترة قصيرة، فتزوجها النبى ﷺ بعد وفاة خديجة، ليعولها وليرتفع بمكانتها إلى أمومة المؤمنين، فذلك أمر يستحق من أجله أسمى التقدير وأجل الحمد.

أما عائشة وحفصة فكانتا ابنتى وزيريه أبى بكر وعمر -رضى الله عنهما- وهذا الاعتبار هو الذى دعا النبى ﷺ أن يرتبط وإياهما برباط المصاهرة بالتزوج من ابنتيهما، ولقد كان لهذا الرباط عظيم الأثر فى نفسى أبى بكر وعمر، وقد رأينا مدى الجزع الذى أصاب عمر -رضى الله عنه- عندما طلق النبى ﷺ حفصة تطليقة، فنزل جبريل -عليه السلام- ليقول للرسول ﷺ: إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر.

إذن كان زواجه ﷺ من عائشة وحفصة -رضى الله عنهما- توطيداً



لأواصر الأمة الإسلامية الناشئة فى شخصى وزيريه، ولا يطعن فى هذا الكلام حب النبى ﷺ لعائشة، فإنما ذلك حب نشأ بعد الزواج لا حينه، فهو قد خطبها إلى أبيها وما تزال فى السادسة من عمرها، وبقيت فترة قبل أن يدخل بها، فليس مما يرضاه المنطق أن يكون قد أحبها وهى فى هذه السن الصغيرة.

زينب بنت خزيمة:

هى زينب بنت خُزَيْمَة بن الحارث بن عبد الله بن عمر بن عبد مناف الهلالية القيسية.

وأمها هى هند بنت عوف بن الحارث بن حَمَاطَة الحِمْيَرية، ومن أخواتها ميمونة بنت الحارث الهلالية لأمها -وقد تزوج الرسول ﷺ ميمونة فيما بعد-، وأم الفضل زوجة العباس عم النبى ﷺ، ولُبَابَة الصغرى أم خالد بن الوليد، وعزة بنت الحارث، وأسماء بنت عُمَيْس، وسَلاَّمَة بنت عُمَيْس -رضى الله عنهن جميعًا-، وقيل فى أمها: إنها أكرم عجوز في الأرض أصهاراً، وأصهارها: رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق، وحمزة والعباس ابنا عبد المطلب، وجعفر وعلي ابنا أبي طالب، والوليد بن المغيرة.

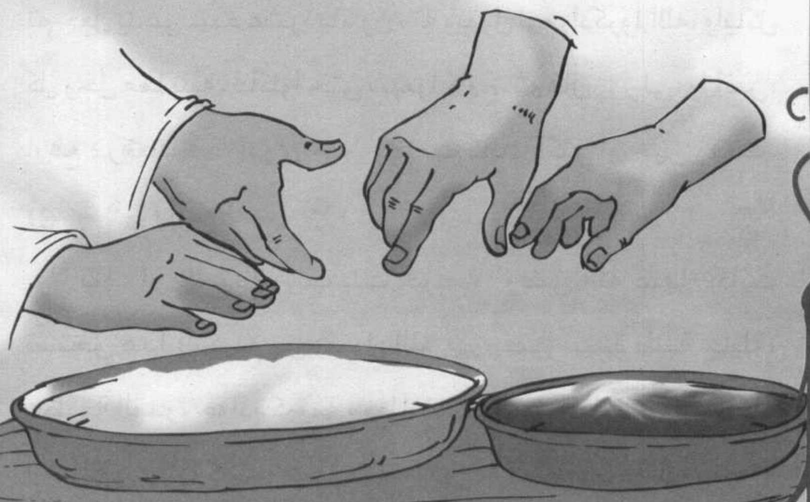
وقيل إن زينب -رضى الله عنها- وُلدت قبل البعثة بثلاث عشرة

سنة تقريبًا.

وكانت زينب من السابقين إلى الإسلام.. وقد تزوجت زينب بنت خُزَيْمَة أولاً من الطفيل بن الحارث بن المطلب، فطلقها ثم تزوجها بعده أخوه عبيدة بن الحارث، فمات عنها فى بدر.

ويذكر أن النبى ﷺ عندما خطبها جعلت أمرها له ﷺ، فتزوجها النبى ﷺ بعد أن دفع لها صداقًا قدره أربعمائة درهم.. وقيل: إن الذى زوجها لرسول الله ﷺ عمها قبيصة بن عمرو الهلالى.

وفرح المسلمون بزواج الرسول ﷺ من زينب لما ينطوى عليه هذا الزواج من حكمة عالية، فها هى ذى أم أنس تسارع بإعداد طعام



للرسول ﷺ وزوجه الجديدة تعبيرًا عن فرحتها بهذا الحدث، فعن أنس -رضي الله عنه- قال: كان رسول الله ﷺ عروسًا بزينب، فعمدت أم سليم إلى تمر وسمن وأقط (لبن محمض وجامد) فصنعت حَيْسًا (نوع من الطعام) فجعلته في تور (إناء)، فقالت: يا أنس، اذهب بهذا إلى رسول الله ﷺ فقل:بعثت بهذا إليك أمي، وهي تقرئك السلام فقال ﷺ: ادع لي فلانا وفلانًا رجالاً سماهم، وادع لي من لقيت، فدعوت من سمي ومن لقيت، فرجعت فإذا البيت غاصٌّ بأهله. قيل لأنس: ما عددهم؟ قال: كانوا ثلاثمائة. فرأيت النبي ﷺ وضع يده الشريفة على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عنده عشرة يأكلون منه ويقول لهم: اذكروا الله، وليأكل كل رجل مما يليه. فأكلوا حتى شبعوا كلهم. ثم قال ﷺ لي: يا أنس، ارفع فرفعت فما أدري حين وضعت كانت أكثر أو حين رفعت.

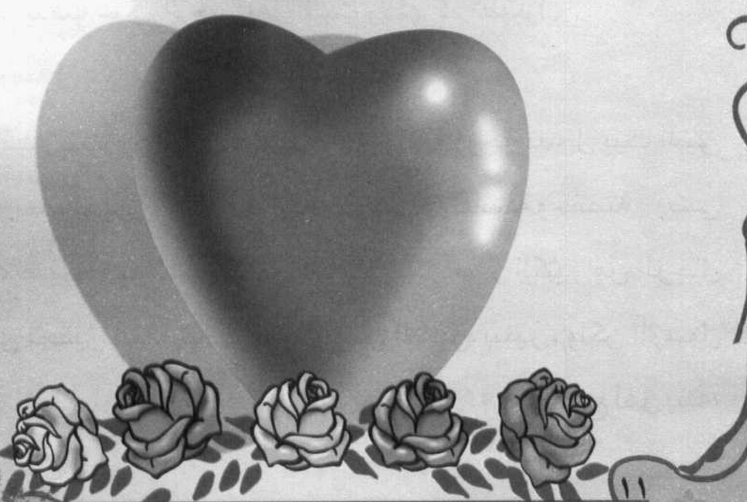
زينب فى بيت النبى ﷺ:

ولا شك أن السيدة زينب بنت خزيمة -رضى الله عنها- كانت تستحق هذا التكريم من رسول الله ﷺ، فهى سيدة طيبة جليلة، عظيمة القدر، جوادة كريمة معطاءة، حتى قيل إنها كانت تلقب بأم المساكين؛ لأنها كانت تطعمهم وتتصدق عليهم، فكافأها الله بالزواج

من أبى المساكين رسول الله ﷺ.

ولعل هذا اللقب (أم المساكين) الذى أطلق على زينب -رضى الله عنها- يبين لنا مدى الرحمة الكبيرة التى أودعها الله فى قلبها، فإذا كان قلبها قد اتسع للفقراء والمساكين واليتامى والأرامل فقد عوضها الله خيرًا من جنس ما كانت تعمل، فقيض الله لها رسول الله ﷺ ليتزوجها وليضمها إلى بيته وزوجاته بعد أن استشهد زوجها، وصدق الله القائل ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ﴾.

وكان زواجها من رسول الله ﷺ في شهر رمضان سنة ثلاث على رأس أحد وثلاثين شهرًا من الهجرة، وذلك أيام ولادة الحسن بن



على -رضى الله عنه-، وصنع النبى وليمة عرس بأن ذبح بعيرًا، وبنى لها النبى ﷺ حجرة إلى جوار حجرات زوجاته سودة وعائشة وحفصة -رضى الله عنهن-.

وعاشت زينب فى بيت النبى ﷺ حياة هادئة سعيدة، شاغلة نفسها بالعبادة والطاعة، تنأى بنفسها عن أى تصرف يغضب رسول الله ﷺ، فقد كانت تدرك عظيم نعمة الله عليها بزواجها من رسول الله ﷺ، الذى جعلها أمًّا للمؤمنين جميعًا فى الحرمة والاحترام، والتوقير والإجلال والإعظام مما يعوضها خير تعويض عن عدم إنجابها لأى أولاد فى حياتها، كما أنها بزواجها من رسول الله ﷺ تكون قد انضمت لآل البيت، وحسبها هذه المنزلة الرفيعة والتكرمة العالية، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

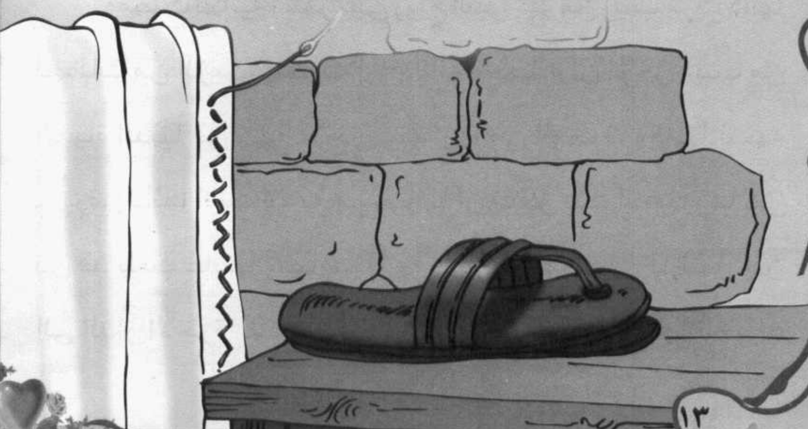
الرسول ﷺ فى بيته مع زوجاته:

كانت زينب -رضى الله عنها- هى رابعة زوجة تدخل بيت النبى ﷺ بعد خديجة، حيث اجتمعت مع سودة وعائشة وحفصة -رضى الله عنهن-، وهذا العدد من النساء ربما يعجز الكثير من الرجال على تحقيق العدل بينهن، أو إحسان العشرة بينهن، ولكن الرسول ﷺ ضرب أروع الأمثلة فيما يجب أن يتعامل به الرجل مع أهل بيته،

فعلى الرغم من أن قلبه ﷺ كان يميل أكثر إلى عائشة، فقد كان يعدل بين نسائه فى القسمة، فكان يبيت عند كل واحدة منهن ليلة، فعن عائشة -رضى الله عنها- قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل، ثم يقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك (يعني: القلب).

وكان من أحسن النساء خلقًا مع زوجاته، وكان يوصى المسلمين جميعًا بحسن الخلق مع النساء قائلاً: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائكم».

وكان النبى ﷺ يساعد زوجاته فى بعض أعمال المنزل توددًا إليهن وعونًا لهن على قضاء مصالحهن، وزيادة فى المحبة، فعندما سئلت عائشة عما يفعله النبى ﷺ فى بيته قالت: كان يكون في مهنة أهله،



فإذا سمع الأذان خرج. وقالت: كان بشرًا من البشر يفلي ثوبه،ويحلب شاته، ويخدم نفسه.

وكان النبى ﷺ يخصف النعل، ويقُم البيت، ويخيط الثوب.

وفى أثناء النهار، كان النبى ﷺ يدور على بيوت زوجاته، ويجلس مع كل واحدة منهن بعض الوقت يتحدث إليها ويطمئن على أحوالها، على الرغم من شواغله الكثيرة، بحيث كانت تشعر كل واحدة من زوجاته أن ليس معها زوجة أخرى تشاركها فى رسول الله ﷺ لفرط اهتمامه بها، وكانت كل واحدة منهن راضية كل الرضا بنصيبها من رسول الله ﷺ... إنه رسول الله المعلم والمثل والقدوة فى كل أمور الحياة.

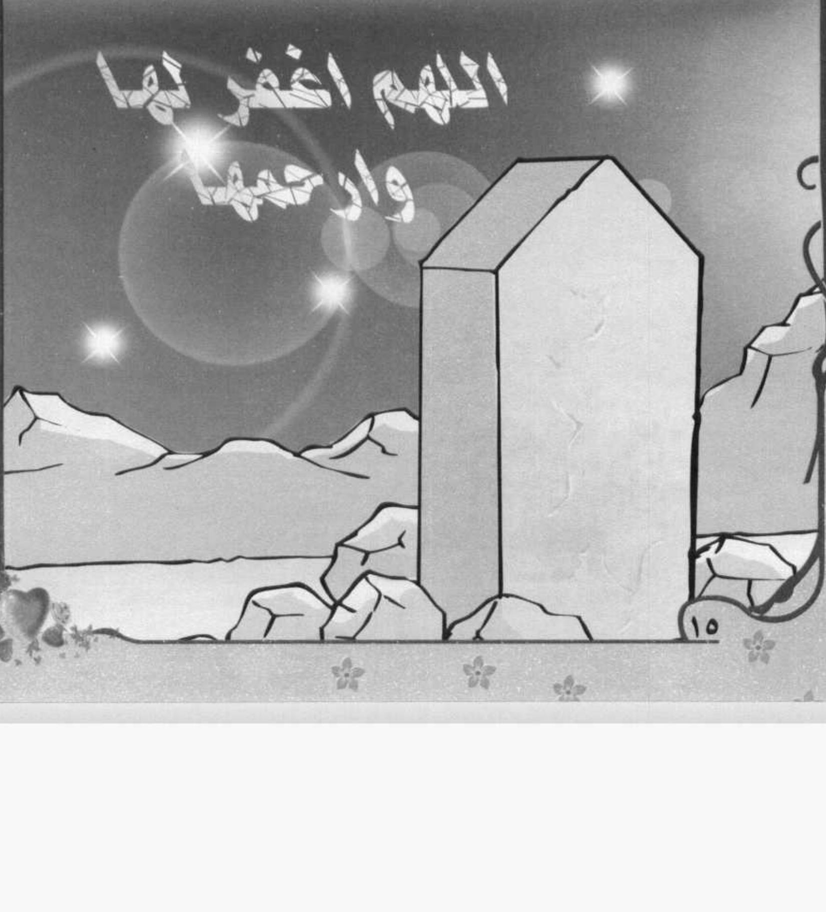
وفاتها:

ومضت ثمانية أشهر على زواج النبى ﷺ من زينب مرت كأنها لحظات من الزمن، وشاءت إرادة الله سبحانه أن ترحل زينب من الحياة الدنيا في ربيع الآخر سنة أربع من الهجرة، وكأنها نسمة عابرة، وكأنما كانت الغاية فى حياتها أن تدخل بيت النبوة، وها هى ذى قد بلغت غايتها وصارت إحدى أمهات المؤمنين، فلتنتقل إذن إلى الدار الآخرة لتلحق بالطاهرة خديجة لتنتظر زوجها الحبيب

رسول الله ﷺ مع الرفيق الأعلى، ويصلى النبى ﷺ عليها، وينطق لسانه الطاهر بهذا الدعاء لها فى صلاة الجنازة:

«اللهم أنت ربها، وأنت خلقتها، وأنت رزقتها، وأنت هديتها للإسلام، وأنت قبضت روحها، وأنت أعلم بسرها وعلانيتها، جئنا شفعاء لها، فاغفر لها ذنبها».

"اللهم اغفر لها وارحمها، واعف عنها وعافها، وأكرم نزلها، ووسع مدخلها، واغسلها بماء وثلج وبرد، ونقِّها من الخطايا كما ينقى الثوب



الأبيض من الدنس، وأبدلها دارًا خيرًا من دارها، وأهلاً خيرًا من أهلها، وقها فتنة القبر وعذاب النار". وكذلك دعا لها بهذا الدعاء كل من صلى عليها من صحابة النبى ﷺ.

فمن من زوجاته ﷺ نالت هذا الشرف العظيم، ودعا لها النبى ﷺ بهذا الدعاء.. لقد ظفرت زينب بدعائه ﷺ لها بالجنة والمغفرة، فلتذهب إلى ربها قريرة العين، ويذهب النبى ﷺ بها إلى البقيع ليدفنها فيه، وكان ثلاثة من إخوتها قد نزلوا حفرتها لتجهيزها للدفن، لتكون أول من دفن بالبقيع من زوجات النبى ﷺ، وكان عمرها -رضى الله عنها- يوم ماتت ثلاثين سنة.

